دلالة أصوات الصّفير في سورة الصّف

(بحث في ما يكون به الصّوت نصّا)

دكتور/ نوّاف عبد الكريم إبراهيم غرايبة
أستاذ مساعد(ب) في اللغة والنحو
كلّية عجلون الجامعيّة- جامعة البلقاء الجامعيّة

Abstract

The researcher aims to study the functions of the sibilant sounds in Surat Al-Suf, their contextual behaviour in guiding the semantics of the Sura, and in the creation of aesthetics; by studying the constructional contexts that contained sibilant sounds, the link between the sound building, the building of the word that contain and the structure of the sentences that contain, on the one hand, and its semantic and aesthetic effects from the opposite side. This study has a statistically structured approach that describes the individual sound and traces it in its contexts in the word, sentence, verse and Sura, describing those contexts, meaning and eloquence, and then analyzes the impact of the sound in guiding those contexts, both horizontally and vertically, towards their significance and eloquence.

The study examined the sibilant sounds, in this sura, at different levels: vocal, grammatical, lexical, semantic and deliberative, and came out with the conclusion that the tyranny the sibilant sounds in this Sura over other sounds has the effect of guiding the significance of the Sura, its eloquence and its beauty, as well as its cohesion and linkage, and the researcher alleges that this study is a pioneer in approach and purpose.

الخلاصة

يرمي الباحث إلى دراسة وظائف الأصوات ذات الصفير في سورة الصّف، وسلوكها السياقي في توجيه دلالات السورة ، وفي توليد جمالياتها؛ وذلك بسبر بنائية السياقات التي احتوت صوتا صفيريّا، والربط بين مبنى الصوت، ومبنى الكلمة التي استوعبته، ومبنى التركيب الذي انتظمه، من جهة، وتأثيراته الدلالية والجمالية من جهة مقابلة. وهذه الدراسة ذات منهج بنيوي إحصائي يصف الصوت منفردا، ويتتبعه في سياقاته في الكلمة والجملة والآية والسورة، فيصف تلك السياقات مبنى ومعنى وبلاغة، ثمّ يحلل أثر الصوت في توجيه تلك السياقات بينيّا وأفقيا ورأسيا نحو دلالتها وبلاغتها.

وعليه ، فقد عالجت الدراسة أصوات الصفير، في هذه السورة، في المستويات: الصوتية والنحويّة والمعجمية والدلاليّة والتداوليّة، وخرجت بخلاصة مفادها ،أنّ طغيان صوت الصفير في هذه السورة على غيره من الأصوات ، له أثره في توجيه دلالة السورة وبلاغتها وجمالها، فضلا عن تماسكها وربطها، ويزعم الباحث أنّ هذه الدراسة رائدة في النهج والهدف.

التقدمة

تتناول الدراسة سورة الصف الكريمة، بالوصف والتحليل، من زاوية ما يشيع في السورة من أصوات الصّفير، حيث تطغى على غيرها من الأصوات، جرسا، وقوة، ووضوحا سمعيا، ومن زاوية كفاية هذه الأصوات في اتساق السورة وتماسكها وانسجامها، فهذه الأصوات الصفيريّة قدرتها في فيزيائيتيها الصوتية، وفي تشكيل نسيج السورة، وهذا يفرض على الدراسة الاتكاء على علمين: علم وظائف الأصوات، وعلم لغة النص وأدواته في الربط والترابط والاتساق والتماسك والانسجام.

فدراسة الصوت تخدم النصّ اللغوي بدراسة وظيفته ضمن سياقاته المختلفة، وبيان قدرة سياقاته في البناء والتماسك النصّيّ.

ومعرفة وظائف أصوات الصفير في سورة الصّفّ، تحتاج إلى معرفة النظام الصوتي لهذه الأصوات؛ لأنّها أساسية في فهم السورة، وامتلاك ناصيتها، والوصول إلى معناها بدقّة، واللفظ أصوات، وهو سمة يستدلّ بها على المعنى(١)

وشيوع أصوات الصفير في هذه السورة يمكن أن يعدّ ،أسلوبيا، من الانحرافات الشاملة التي تؤثر على السورة بأكملها، والتي يمكن رصدها إحصائيا(٢)

ويرى دارسو الأسلوبية الصوتية بأنّ الأشياء الكونية المحسوسة والحركات، تجسدها وتوحي بها الأصوات اللغوية وسياقاتها اللفظية المختلفة(٣) فدراسة الأصوات تساعد في الكشف عن وظيفتها الصوتية الدلالية، ودورها في التشكيل الصوتي اللغوي، والتطريز الصوتي زمن إنجاز النصّ(٤)

ومما يؤكد هذا النظر الأسلوبي لأهمية الصوت في دراسة النصّ، قول الباحثين، بمناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه ،إذ أنّ معظم الكلمات التي تتألف منها السورة، يتراكم فيها حرف ما ويتكرر، وتكون دلالة الكلمات معضّدة للسمات الصّوتية لهذا الحرف، وكلّ معاني السورة مناسب لما في الحرف من الصفات(٥)ففاعلية الصوت تحددها طبيعة الصوت، وسلوكه في نسق التركيب، بما يحمله من دلالات مرتبطة بسياقاتها اللغوية(٦)

وهذا يكشف عن العلاقة الوثيقة والقصديّة بين السورة واسمها ، وأنّ أسماء السور أعلام عليها(٧) فجاذبية أسلوب السورة في الملائمة بين الألفاظ والمعاني، في انسجام المعاني وتناغمها، وفي إئتلاف الألفاظ واتساقها(٨)

وعليه، تأتي دراسة سورة الصّفّ الكريمة، فصوت الصّاد الصفيري وأشباهه، وما تحمله كلمة الصّفّ من معان، مدعاة للبحث في الوظيفة والتماسك والانسجام، لذا سيكون البحث في السورة ضمن خمسة مستويات: المستوى الصوتي، المستوى النحوي، المستوى المعجمي، المستوى الدلالي، المستوى التداولي، بالتركيز على العلاقات التي يبنيها كل مستوى، والتي تعدّ وسائل تستعين بها السورة في تأدية الوظائف، وفي بناء السورة.

السورة الكريمة

الصّفّ

١. سَبَّحَ للَّه مَا في السَّمَاوَات وَمَا في الأَرْض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
٢. يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ
٣. كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللَّه أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ
٤. إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الَّذينَ يُقَاتلُونَ في سَبيله صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ
٥. وَإذْ قَالَ مُوسَى لقَوْمه يَا قَوْم لمَ تُؤْذُونَني وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّه إلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْفَاسقينَ
٦. وَإذْ قَالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَني إسْرَائيلَ إنِّي رَسُولُ اللَّه إلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ منَ التَّوْرَاة وَمُبَشِّرًا برَسُول يَأْتي من بَعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بالْبَيِّنَات قَالُوا هَذَا سحْرٌ مُّبينٌ
٧. وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن افْتَرَى عَلَى اللَّه الْكَذبَ وَهُوَ يُدْعَى إلَى الإسْلام وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ
٨. يُريدُونَ ليُطْفؤُوا نُورَ اللَّه بأَفْوَاههمْ وَاللَّهُ مُتمُّ نُوره وَلَوْ كَرهَ الْكَافرُونَ
٩. هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدين الْحَقِّ ليُظْهرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه وَلَوْ كَرهَ الْمُشْركُونَ
١٠. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تجَارَة تُنجيكُم مِّنْ عَذَاب أَليم
١١. تُؤْمنُونَ باللَّه وَرَسُوله وَتُجَاهدُونَ في سَبيل اللَّه بأَمْوَالكُمْ وَأَنفُسكُمْ ذَلكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
١٢. يَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخلْكُمْ جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ

١٣.وَأُخْرَى تُحبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّه وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمنينَ
١٤.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّه قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ

جوّ السورة

سورة الصفّ عدد آياتها أربع عشرة، وكلماتها مئتان وواحدة وعشرون، دون خلاف، وأصواتها تسع مئة وستة وعشرون، على خلاف. وهي مدنية في قول الجميع(٩) ومن فضائلها، قول رسول الله "من قرأ سورة الصّفّ كان عيسى مصليّا عليه، مستغفرا له"(١٠) وسبب نزولها القتال(١١) وقد بسط فيها أبلغ بسط ، والصفوف تشرع في القتال والصلاة(١٢)وهذا من مناسبة أسماء السور لها(١٣)والعرب تراعي في مسمياتها النادر الذي يكون في الشيء والمشهور، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن(١٤)

وهذه المناسبة لا تقف عند مناسبة أسماء السور لمضامينها، فهذا باب عظيم واسع، ونهج متلئبّ مأموم، عند اللغويين، فهو من مشاكلة الأصوات لأحداثها(١٥) ومن حكاية اللفظ للمعنى، ومن تسخير اللفظ لتوليد المعنى (١٦) ومن محاكاة الأصوات(١٧) ف"مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي"(١٨) وقمة المناسبة في "الاقتصاد في التأثير على الحسّ النفسيّ"(١٩) فالصوت والمعنى وجهان لورقة واحدة، ولا يظهر هذا الارتباط في الكلمة إلا داخل السورة (٢٠)

والشواهد القرآنية على هذه المناسبة كثيرة ، منها قوله تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (ص ٢١)المتخاصمون إلى داود (تسلّقوا السور)؛ على صيغة (تفعّلوا) وأصل السور(س و ر) فضمت الصيغة إلى الأصل فصارت(تسوّروا)(٢١) كما أنّ الخصومة تستدعي التسوّر، وكذلك قوله تعالى "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ (فصلت ١٦) ف" في همس الصاد وصفيرها، وصفير السين المهموسة حكاية لصوت الريح"(٢٢)

الدراسة

المتدبّر لسورة الصَّف الكريمة يلفت انتباهه، سيطرة أصوات الصفير(ز، س، ش، ص) على سياق السورة العام، وطغيانها على غيرها من الأصوات. وهذا الأمر حرّك البحث في بنائية هذه الأصوات، وفي دلالتها على معاني السورة. فبراعة القرآن وبلاغته، في توظيف القيمة الصوتية في رسم المعاني وتشخيصها، وفي تمثيل الحالة الشعورية(٢٣) وفي "الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا، على نسب معلومة، ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده"(٢٤)

ومما يسترعي النظر، أيضا، المناسبة بين بنائية السورة الصوتية، ومضامينها التي تدعو إلى تسبيح العزيز الحكيم، والإيمان بالرسل والرسالات، ورصّ الصفوف في مواجهة العدو، والتبشير بسكنى الجنة. فهي مضامين عقديّة تحتاج إلى بناء صوتي ذي لهجة تحذير صارخة، تنبه الأسماع والأبصار والأفئدة، ولهجة ترغيب ببشرى الفوز والنصر.

فرصّ الأصوات والكلمات والآيات، دعوة إلى التراصّ قولا وعملا، وإلى أن تتهيأ الأمة إلى نشر الدين، والجهاد في سبيل الله صفا واحدا؛ ليتحقق النصر في الدنيا، والفوز في الأخرة.

هذا ما يتعلق بوظيفة الأصوات، ووظيفة الصوت الصفيري المتعلقة بالصفة والمخرج موضوع البحث، كما أنّ لهذه الأصوات الصفيريّة وظيفة أخرى على مستوى السورة، فهي أدوات في تماسك السورة ، واتساق آياتها في المستوى النحوي والمعجمي، وانسجامها في المستوى الدلاليّ والتداولي، فهي أدوات تصنع علاقات نحوية ومعجمية ودلالية وتداولية تمكن السورة من التماسك والانسجام.

وعليه، سيكون البحث في المستوى الصوتي للصوت الصفيري، ودوره في بناء سورة الصّفّ في المستوى النحويّ، والمعجميّ، والدلاليّ، والتداوليّ .

أولا: المستوى الصوتيّ النصّيّ

وهذا المستوى يعرض صفات الصوت الصفيري، ومخرجه، ووضوحه السمعي، ودرجات الصفير، ودلالته في النصّ القرآني ونصّ السورة.

الوصف

الجدول الآتي يصف أصوات الصفير، ويبين ملامحها العامة، وفق دلالات الرموز الخاصة بهذا المستوى ، وهي على النحو الاتي:

مج: صوت مجهور
مه: صوت مهموس
اح: صوت احتكاكي
وق: صوت وقفي
مر: صوت مرقق
مف: صوت مفخّم
وض: وضوح سمعي
نش: صوت انتشاري
أس: صوت أسناني
ق. خ: قيمة خلافية
م. ص: مقابل صوتي

الجدول(١)

الصوت	الجهر والهمس	الاحتكاك والانفجار	التفخيم والترقيق	الانتشار وعدمه	المخرج	الوضوح السمعي	التكرار
ز	مج	اح	مر		أس	أكثرها وض	٥
س	مه	اح	مر		أس	اقلها وض	٢١
ش	مه	اح	مر	انش	أس	أقل وض من الصاد	٥
ص	مه	اح	مف		أس	أوضح من السين	٩

التحليل

– توصف هذه الأصوات بالصفير، لما يصحب النطق بها من صفير.(٢٥)"وتكون مصحوبة باهتياج، ولذلك فهي من ذوات التردد العالي"(٢٦)

–الصوت المجهور أقوى جرسا؛ أي (سمعيا)إذ ترتعش الأوتار الصوتية، عند النطق به، فيكون الصوت قويا مسموعا(٢٧)؛ لذا فصوت الزاي يأتي قويا مسموعا، أكثر من باقي أصوات الصفير(٢٨).

–الصوت المهموس أقوى نطقا ؛أي(عضويا، في مستوى المجهود العضلي) إذ لا ترتعش الأوتار الصوتية عند النطق به، فيمر الهواء من الحلق همسا(٢٩)؛ لذا فأصوات الصفير: السين والصاد والشين أقوى نطقا من صوت الزاي المجهور.

– أصوات الصفير هي من الأصوات الاحتكاكية، وبالنظر إلى مجهورها ومهموسها، فتقسم إلى احتكاكية مجهورة، وهي صوت الزاي، واحتكاكية مهموسة، وهي صوت السين والصاد والشين(٣٠) وللتقابل بين الأصوات المتناظرة ميزة تتمثل في استغلال إمكانات التقابل في الدلالة(٣١) فعلم وظائف الأصوات" ينبني على إيجاد المقابلات الصوتية التي توجد في اللغة، والتفريق بين معانيها"(٣٢)

–صوت الزاي أقوى أصوات الصفير سمعا، وأضعفها نطقا، لذا جاءت في سياقات العزة والفوز والزيغ، بينما البقية جاءت في سياقات الاصطفاف والرسالة والبشرى .

– مخارج أصوات الصفير" من طرف اللسان باتجاه الشفة"(٣٣)"وتقرع بوضع طرف اللسان على الأسنان العليا أو على مغارزها"(٣٤) ويصاحب إنتاجها اهتياج، لذا فترددها عال ينجم عن سرعة الهواء، في منطقة التضييق، عند موضع النطق، فيحصر قدر من الهواء، فتشتد حركته وسرعته وكثافته، ثمً ترشحه في منطقة المخرج، فيكون الصفير(٣٥)

–أصوات الصفير متفاوتة في الوضوح السمعي، فهي فيه على درجات، ويتبع الوضوح مضامين السورة، وما تدعو إليه.

– تكرار أصوات الصفير في السورة يتناسب عكسيا والوضوح السمعي لها، ف(الزاي) الأكثر وضوحا أقلها تكرارا، و(السين) الأقل وضوحا أكثرها تكرارا، وهذا من التوازن الصوتي بين وضوح الصوت فيزيائيا ووضوحه دلاليا. وتتابع الأصوات على نسب معينة هو من بلاغة اللغة الطبيعية(٣٦)

– من القيم الخلافية بين أصوات الصفير: الجهر للزاي، والانتشار للشين، والتفخيم للصاد.

ثانيا: المستوى النحويّ النصيّ

هذا المستوى هو مقاربة تكشف عن تماسك السورة الكريمة واتساقها، وتبين قدرة سياقات أصوات الصفير على الربط بين آيات السورة، في جدول ضمن المواصفات والرموز الاتية، يتبعها التحليل:

١- الخانة الأولى تتضمن رقم الآية الكريمة، التي تشتمل على سياق صوت صفيري، يربط بسياق آخر داخل الآية أو خارجها.

٢- الخانة الثانية إحصاء لعدد الروابط التي تربط بين كلمات الصفير وكلمات أخرى داخل الآية وخارجها، فهي تكشف عن حجم الربط الذي تصنعه كلمات الصفير في السورة.

٣- الخانة الثالثة تعيّن العنصر الاتساقيّ الصفيريّ الذي يقوم بعملية الربط مع عناصر أخرى.

٤- الخانة الرابعة تظهر طبيعة العنصر الاتساقيّ ونوعه.

٥-الخانة الخامسة تبيّن المدى الفاصل بين العنصر الاتساقيّ الصفيريّ، والعنصر المحال إليه المفترض.

٦- الخانة السادسة تعيّن العنصر المفترض المحال إليه.

وأمّا دلالات الرموز الخاصة بالعلاقات في المستوى النحوي، فهي على النحوي الآتي:

إح. ض. قب: إحالة ضميرية قبلية

إح. ض. بع: إحالة ضميرية بعدية

إح. س: إحالة سياقية

إح. خ: إحالة خارجية

عط: عطف

عط إ: عطف إستئناف

را: رابط

الجدول(٢)

رقم الآية الكريمة	عدد الروابط	العنصر الاتساقيّ الصفيريّ	نوعه	المسافة	العنصر الافتراضيّ
١	١	سبّح(هو)	إح. ض. ب	٠	ما
	١	في السموات	را	٠	ما
	١	العزيز(هو)	إح. ض. ق	٠	الله

٤	١	في سبيله	را	٠	القتال
	١	سبيله(هو)	إح. ض. ق	٠	الله
	١	صفّا(هم: مصفوفين)	إح. ض. ق	٠	الّذين يقاتلون
	١	مرصوص(هو)	إح. ض. ق	٠	بنيان
٥	١	رسول الله(هو)	إح. ض. ق	٠	موسى
	١	زاغوا(هم)	إح. ض. ق		لقوم موسى
	١	الفاسقين(هم)	إح. ض. ق وإح. س	٠	لقوم موسى وكل فاسق
٦		بني إسرائيل(هم)	إح. خ		أبناء يعقوب
	١	رسول الله(هو)	إح. ض. ق	٠	عيسى
	١	مصدقا(أنا)	إح. ض. ق	٠	رسول الله(عيسى)
	١	ومبشرا	عط	٠	مصدقا
	١	مبشرا(أنا)	إح. ض. ق	٠	رسول الله(عيسى)
	١	برسول(هو)	إح. ض. ب	٠	اسمه
	١	اسمه(هو)	إح. ض. ب	٠	أحمد
	١	سحر(هو)	إح. س		البينات والتصديق

					والتبشير
	١	إلى الإسلام	را	٠	إدعاء الإسلام
٧	١	الإسلام(هو)	إح. خ		دين الإسلام
٩	١	أرسل(هو)	إح. ض. ق	٠	الذي، هو، الله
	١	رسوله(هو)	إح. ض. ق	٠	الذي، هو، الله
	١	المشركون(هم)	إح. ض. ق	١، ٢، ٣	الكافرون، الظالمين،الفاسقين
١١	١	ورسوله	عط	٠	الله
	١	رسوله(هو)	إح. ض. ق	٠	الله
	١	في سبيل الله	را	٠	الجهاد
	١	وأنفسكم	عط	٠	أموالكم
	١	أنفسكم(أنتم)	إح. ض. ق	٠	الذين آمنوا
	١	ومساكن	عط	٠	جنات
	١	مساكن(هي)	إح. ض. ب	٠	جنات عدن
	١	الفوز(هو)	إح. س	٠	جنات وما يتصل بها
١٣	١	نصر(هي)	إح. س	٠	أخرى تحبونها
	١	وبشّر	را. اس	٠	سياق الآية
	١	بشّر(أنت)	إح. ض. ق	٦	أحمد
١٤		أنصار(أنتم)	إح. ض. ق	٠	الذين آمنوا

	١	أنصاري(ياء المتكلم)	إح. ض. ق	٠	عيسى
	١	أنصار(هم) الله	إح. ض. ق	٠	الحواريون
	١	من بني إسرائيل	را	٠	طائفة
	١	فأصبحوا	عط	٠	أيّدنا
	١	أصبحوا(هم)	إح. ض. ق	٠	الذين آمنوا

يظهر الجدول السابق الواصف للروابط النحويّة المتعلقة بسياقات الصوت الصفيريّ، داخل سورة الصف الكريمة، ما يأتي:

١- ربطت سياقات الصوت الصفيري بين آيات السورة الكريمة بأدوات التماسك الآتية:

-الإحالة الضميرية القبليّة، واستخدمت عشرين مرّة.

-الإحالة الضميرية البعديّة، واستخدمت أربع مرّات.

- الإحالة الضميرية السياقيّة، واستخدمت أربع مرّات.

- الإحالة الضميرية الخارجية، واستخدمت مرّتين.

- توزّعت الإحالة بالضمير بين الغائب والمتكلم والمخاطب، على النحو الآتي:

- ضمير الغائب أربع وعشرون مرّة.

- ضمير المتكلم ثلاث مرّات.

- ضمير المخاطب ثلاث مرّات.

- حرف العطف الواو، أربع مرّات.

- حرف الاستئناف الواو، مرّة واحدة.

-حرف العطف الفاء، مرّة واحدة.

- حرف الجرّ، خمس مرّات.

التحليل

أبان الجدول الخاص بالمستوى النحوي، سالفا، عن الوسائل التي استعانت بها سورة الصّفّ الكريمة، في الاتساق والتماسك، وهي وسائل مرتبطة بالبنى الصفيريّة، وهي

إمّا تسبقها مباشرة، وإمّا تلحقها مباشرة، وقد توزعت هذه الوسائل بين الإحالة بالضمير والعطف والجرّ بحرف الجرّ.

ويبدو الضمير أكثر وسيلة لجأت إليها سياقات الصفير في الربط في هذه السورة، وكذلك حال السور والنصوص الأخرى، إذ الربط أبرز وظيفة نصّية للضمير، وله أهميته في التحليل النصّي، وهو أصل الروابط(٣٧). فالضمير يقوم بوظيفة استحضار عنصر أو خطاب متقدم أو متأخر، في خطاب لاحق أو سابق (٣٨).

فالضمائر التي استعانت بها سياقات الصفير معظمها تحيل إلى سابق كما يبدو من الجدول، وهي تحيل إلى أقرب مذكور، والضمير بهذا السلوك اللغوي، يحقق الأصل اللغوي في استخدام الضمائر، ويجعل النصّ يأمن اللبس في المعنى(٣٩)، ويغدو التما سك في أعلى درجاته، وهذا مما لا يتوافر في نصوص أخرى. كما أنّ المحال إليه واحد في الضمائر التي استعانت بها سياقات الصفير، إلّا في حالة واحدة، أحال الضمير إلى ثلاثة. إذ إنّ توافق الضمائر في المرجع أليق بنظم القرآن وإعجازه(٤٠)، وهذا مما يجعل السورة أشدّ تماسكا.

أمّا الضمائر التي استعانت بها سياقات الصفير في الإحالة إلى لاحق فهي قليلة، والمحال إليه قريب، كما في قوله تعالى" سبّح لله ما في السموات والأرض" فالمبنى الصفيري (سبّح) فاعله تقديره(هو) عائد إلى(ما) وبالتالي ففهم المعنى سهل ميسور. ولربما يكون وراء هذا نكتة بلاغية، كتفخيم المعنى والقصر(٤١).

وأمّا الضمائر التي استعانت بها البنى الصّفيريّة في الإحالة إلى سياق السورة، فقد جاءت في أربعة مواطن، وهي إحالات بسيطة أشبه ما تكون بالإحالة المحددة المرجع ، كما في قوله تعالى "وأخرى تحبونها نصر من الله" فالمصدر(نصر)يتضمن ضمير(هي)العائد على (أخرى) الموصوفة بجملة (تحبونها)وكما في قوله تعالى" ذلك الفوز العظيم" ففي الفوز ضمير يعود على الجنّات ومعطوفاتها ، وهي من الوضوح بمكان. فالمبنيان الصفيريان (النصر والفوز) لهما فاعلية كبيرة في الربط فيما بينهما وبين ما تحيلان إليه من موصوفات ومعطوفات، وكذلك الإحالتان السياقيّتان الآخريان.

وأمّا الإحالة الخارجية المتعلقة ب(بني إسرائيل) ،فهي تربط بين حال بني إسرائيل وموقفهم من أنبيائهم، في هذه السورة، وحالهم الذي لم يتغير، سابقا، كما يوضح ذلك

سائر القرآن. وهذا المبنى الصفيري(إسرائيل) تظهر جدواه الدلالية من العلاقة التي يقيمها مع أحوال بني إسرائيل أينما كانت على امتداد الكتاب العزيز.

وإذا ما نظرنا إلى هذه الضمائر من منظور الدلالة على الحضور والغيبة، فضمير الغيبة استخدم من خلال المباني الصفيريّة في هذه السورة أربعا وعشرين مرّة، كما أنّ له ميزتان تضافان إلى كونه يحيل إلى عناصر سابقة، هما: غيابه عن دائرة خطاب السورة، وقدرته على إسناد عناصر جديدة، وهما ميزتان مهمتان في تماسك السورة(٤٢).

وأمّا ضمائر الحضور فاستخدمت ثلاث مرّات للمتكلم، وثلاث للمخاطب، من خلال مباني الصفير، فللمتكلم(مصدقا، مبشرا، أنصاري) فهي تحيل إلى سيدنا عيسى المذكور في سياق السورة، وهو ،كذلك، مبنى صفيري، فلضمير المتكلم حضوره المؤثر في المتلقي، كما للصوت الصفيري تأثير، إلى جانب ما يقوم به الضمير والصفير من تماسك في نسيج السورة.

وللمخاطب(أنفسكم، بشّر، أنصار) وجات في سياق(النداء، الأمر، الأمر)على الترتيب ، فمبنى الصفير (أنفسكم)يعود إلى (الذين آمنوا) و(بشّر) يعود إلى (الرسول أحمد) و(أنصار) يعود إلى (الذين آمنوا) فهي سياقات خطابية إنشائية طلبية صفيريّة ،لها حضورها وتأثيرها في المتلقي وفي تماسك السورة.

وأمّا العطف ب(الواو) فجاء في أربعة سياقات صفيريّة من السورة، هي على الترتيب:

- إنّي رسول الله إليكم مصدقا... ومبشرا
- تؤمنون بالله ورسوله
- تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم
- يدخلكم جنّات... ومساكن

فالعطف في هذه الآيات من عطف المفرد لا من عطف الجمل، وفائدته تحصيل مشاركة الثاني للأول في الإعراب، ووصل الكلام بعضه ببعض(٤٣)وإظهار الارتباط بينهما لتعلقهما(٤٤) وتكثيف الكلام عن طريق الإختزال(٤٥)وأمّا المعطوفات التي بعد الواو فهي مبان صفيريّة كما أشرت،وهي مبان جزلة فخمة واضحة سمعيّا ملائمة مؤتلفة متعادلة لما يجاورها من المباني(٤٦)

وأمّا(فاء)العطف المقترنة بالمبنى الصفيريّ(فأصبحوا) فهي تفيد ترتب نتيجة الظهور، على فعل التأييد(فأيّدنا) المترتب، كذلك، على فعل الإيمان(فآمنت) فالظهور يأتي بالإيمان والتأييد.

ومن المناسبة الإشارة إلى موقعية مباني الصفير من نظام التبعية: كالنعت، والبدل، ونحوه، فقد جاءت جميعها متبوعة لا تابعة، إمّا منعوتة، وإمّا مبدل منه، إلّا كلمة(مرصوص) جاءت نعتا لا منعوتا. وهذا يدلّ على هيمنة موقعيّة مباني الصفير على سواها من المباني في السورة، وعلى قدرتها في التماسك.

وأمّا حروف الجرّ المتّصلة بمباني الصفير في هذه السورة، فهي:

- سبّح لله ما في السموات
- يقاتلون في سبيله
- ومبشرا برسول
- وهو يدعى إلى الإسلام
- فآمنت طائفة من بني إسرائيل

عرّف النحاة حروف الجرّ بتعريفات منها "تجرّ معاني الأفعال إلى الأسماء"(٤٧) فالجارّ والمجرور يرتبطان بالفعل ويتعلقان به، والتعلق ارتباط وتماسك، ومعنى الفعل يحدده ما يتعلق به من الجارّ والمجرور(٤٨).

وبالتالي، فلمباني الصفير المجرورة دور في الربط وتحديد معاني الأفعال، فالتسبيح مكانه السموات، والقتال مكانه سبيل الله، ونحوه.

وأخيرا، ممّا يلاحظ على المسافة بين العنصر الاتّساقي المحيل والعنصر الافتراضيّ المحال إليه، أنّها قصيرة المدى، مما يقوي الاتساق والتماسك بين الآيات الكريمة، وهذه سمة اسلوبية تتفرد بها السورة القرآنية عن سائر النصوص.

ثالثا: المستوى المعجميّ النصيّ

الوصف

يكشف الجدول الآتي عن علاقات الاتساق المعجمي التي تقيمها سياقات الصوت الصفيريّ في سورة الصّفّ، مسبوقا بالرموز الخاصّة بالعلاقات في هذا المستوى، وهي على النحو الآتي:

تض(تكا): تضام تكامل

تض(تقا): تضام تقابل
تض(ج– ك): تضام (جزء– كلّ)
تض(ك–ج): تضام(كلّ– جزء)
ش. ترا: شبه ترادف
تك: تكرار

الجدول(٣)

رقم الآية	عدد الروابط	العنصر الاتساقي الصّقيريّ)	نوعه	المسافة	العنصر المفترض
١	١	العزيز	ش. تر	٠	الله
٤	١	سبيله(الله)	تض(ج– ك)	٠	الله
	١	صفّا	تض(تكا) تض(تكا)	٠ ٠	يقاتلون(القتال)، سبيله
	١	مرصوص	تض(تكا)	٠	بنيان
٥	١	موسى	تض(تكا)	١	الله
	١	رسول الله(موسى)	تض(تكا)	٠	الله
	١	زاغوا	تض(تقا)	٠	يهدي(الهداية)
	١	أزاغ	تك	٠	زاغوا
	١	الفاسقين	ش. تر	٠	زاغوا(الزيغ)
٦	١	عيسى	تض(تكا)	١	الله، موسى
	١	بني إسرائيل	تض(تقا)	٠	عيسى
	١	رسول الله(عيسى)	تض(تكا)	٠	عيسى
	١	مصدقا	تض(تكا)	٠	رسول الله(عيسى)

	١	مبشرا	تض(تكا)	٠	مصدقا
	١	برسول	تض(تكا)	٠	اسمه
	١	اسمه	تض(تكا)	٠	أحمد
	١	سحر	تض(تقا)	٠	البينات
٧	١	الإسلام	تض(تقا)	٠	الكذب
٩	١	أرسل رسوله (بالهدى)	تض(تقا)	١	والله (لا يهدي) القوم الظالمين
	٣	المشركون	ش. تر ش. تر ش. تر	١ ٢ ٣	الكافرون الظالمين الفاسقين
١١	٢	رسوله	تض(تكا) تك	٠ ٠	بالله رسول الله
	٢	سبيل الله	تض(تكا) تك	٠ ٠	الله سبيل الله
	١	أنفسكم	تض(تكا)	١	المؤمنون المجاهدون في سبيل الله
١٢	١	مساكن	تض(ج-ك)	٠	جنات تجري
	٢	الفوز	تض(ك-ج)	٠	مساكن، جنات تجري، المغفرة
١٣	١	نصر	ش. تر	١	الفوز
	٣	بشّر(بشارة)	تض(تكا)	٠، ٠، ١	فتح،نصر،الفوز
١٤	١	أنصار الله	تض(تكا)	٠	الذين آمنوا
	١	عيسى	تك	٧	عيسى
	١	أنصاري إلى الله	تض(ج-ك)	٠	الحواريين
	١	أنصار الله	تضا(تكا)	٠	الحواريون

	٣	بني إسرائيل آمنت طائفة كفرت طائفة	تك تض(ج-ك) تض(ج-ك)	٧ ٠ ٠	بني إسرائيل بني إسرائيل بني إسرائيل
	١	أصبحوا ظاهرين	ش. تر	٠	البشارة،فتح،نصر،الفوز

يظهر الجدول السابق العلاقات المعجمية التي تقيمها سياقات الصوت الصفيريّ، داخل سورة الصّف الكريمة، وهي كما يأتي:

أولا: بلغ مجموع العلاقات المعجميّة ذات الصوت الصفيريّ اثنتين وأربعين علاقة، وهذا يشير إلى فاعلية المبنى الصفيريّ في دلالة السورة وتماسكها، فالسورة متماسكة تماسكا شديدا، وقد توزعت العلاقات على النحو الآتي:

١- التضام ثلاثون مرّة.

٢- شبه الترادف سبع مرّات.

٣- التكرار خمس مرّات.

ثانيا: المسافة بين العنصر الاتساقي المعجمّيّ الصفيريّ، والعنصر المفترض المحال إليه، قصيرة المدى، غالبا، لا تتجاوز الآية الكريمة، وكانت على النحو الآتي:

١- الإحالة القصيرة المدى، في الآية نفسها، وردت واحدة وثلاثون إحالة.

٢- الإحالة البعيدة المدى، بين الآية وآيات سابقة، وردت كالآتي:

٣- المدى آية ، وردت سبع مرّات.

٤-المدى آيتان، وردت مرّة واحدة.

٥-المدى ثلاث آيات، وردت مرّة واحدة.

٦- المدى سبع آيات، وردت مرّتين.

التحليل:

التماسك المعجميّ وسيلة من وسائل التحليل النصّيّ، يسهم في إقامة علاقات بين العناصر اللغوية في النصّ ، وتكمن أهميته في بيان أنواع العلاقات بين العناصر، وفي معاني النصّ والمعنى العام له(٤٩) .

والطريقة الإحصائية لمباني الصفير، ذات شأن إذ تضع اليد على ترددات ذات مغزى، ودور في رصدّ محاور النصّ، كما تضمن هذه الترددات انسجام النصّ مع نفسه ومع غيره من النصوص(٥٠)كما سيتبين في المستوى الدلالي. وهذه الترددات تقوم على فكرة الاستبدال التي تربط بين مكونين من مكونات النصّ أو عالم النصّ يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول(٥١).

وكما يبيّن الجدول(٢) فإنّ العلاقات المعجميّة التي أقامها العنصر الصفيريّ، بين عناصر السورة الكريمة، كانت كالآتي: التضام، شبه الترادف، التكرار، وستناقش تباعا.

أولا: التضام

التضام مصطلح يعني الاتساق، الذي ينتج عن توارد العناصر المعجميّة، التي يرتبط أحدها بالآخر، نمطيّا بطريقة من الطرق؛ لأنّها تميل الى الظهور في محيطات متماثلة، وتؤوّل دلاليا(٥٢)

وعليه، فعلاقات التضام تكون بأحد الأشكال الآتية: التكامل والتقابل، الأسماء العامة، الكلّ- الجزء، الجزء-الجزء، العام- الخاص.

فعلاقة التضام التي أقامتها مباني الصفير، في سورة الصّفّ، وهي العلاقة الأكثر شيوعا، يمكن بلورتها بالأشكال الآتية: التكامل والتقابل، والجزء والكلّ، والعكس.

التكامل

ويتمثل هذا الشكل بعلاقات تكماليّة خمسة، أقامتها سياقات الصفير، على النحو الآتي:

- علاقة التكامل بين (صفّا) الاصطفاف والقتال في سبيل الله، والبنيان(المرصوص).
- علاقة التكامل بين الأنبياء(موسى) و(عيسى) وأحمد ورسالاتهم، والله عزّ وجلّ.
- علاقة التكامل بين الإيمان ب(رسول) الله أحمد، والجهاد في (سبيل) الله بالأموال و(الأنفس)، و(البشارة) بالجنة و(المساكن) والفتح و(النصر) و(الفوز).
- علاقة التكامل بين الذين آمنوا و(أنصار الله)
- علاقة التكامل بين الحواريين و(أنصار الله)

التقابل

ويتمثل هذا الشكل بعلاقات تقابلية ثلاثة، كونتها سياقات الصفير، على النحو الآتي:

-علاقة التقابل بين الزيغ(زاغوا) والهداية، وذلك في قوله تعالى" فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين".
-علاقة التقابل بين (سحر) والبينات، وذلك في قوله تعالى" فلمّا جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين".
-علاقة التقابل بين (الإسلام) والكذب، وذلك في قوله تعالى" ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام".

الجزء والكلّ

ويتمثل هذا الشكل بعلاقات ستّة، أنشأتها سياقات الصفير، وهي على النحو الآتي:
-علاقة (سبيل) الله، بالله (العزيز) الحكيم.
-علاقة (مساكن)طيبة، بجنّات تجري.
-علاقة(الفوز)ب(مساكن)،جنات تجري، المغفرة.
-علاقة(أنصاري)إلى الله، بالحواريين.
-علاقة آمنت طائفة، ب(بني إسرائيل).
-علاقة كفرت طائفة، ب(بني إسرائيل).

ثانيا: شبه الترادف

يختلف الدارسون في وقوع الترادف في القرآن الحكيم، إلّا أنّهم يتفقون في وقوع شبه الترادف أو ما يسمى بالتشابه أو التداخل أو التقارب الدلالي وذلك حين تتقارب المعاني، لكن يختلف كلّ لفظ عن الآخر بملمح هامّ واحد على الأقل، ومثالها في القرآن(حلم، رؤيا)(٥٣).

وهذه العلاقة شبه الترادف التي أنشأتها سياقات الصفير، ماثلة في آيات السورة، على النحو الآتي:
-علاقة شبه الترادف بين (العزيز)، والله.
-علاقة(الفاسقين)، ب(زاغوا)الزيغ.
-علاقة(المشركون)،ب الكافرون، والظالمين، و(الفاسقين).
-علاقة (نصر)، ب(الفوز).
علاقة(أصبحوا)ظاهرين، والبشارة(بشّر)، وفتح، و(نصر)، و(الفوز).

ثالثا: التكرار

التكرار خير معوان على فهم القرآن ،والربط بين آياته(٥٤)ومن مقاصده بيان وحدة الأديان في أصل العقيدة، ووحدة الدعوة إليها من الرسل، وتشابه أقوامهم في موقفهم منها(٥٥)

وهذه العلاقة ماثلة في تكرار سياقات الصفير، وهي كالآتي:

-(أزاغ)و(زاغوا)

-(رسوله)و(رسوله)و(رسول)و(رسول الله)و(رسول الله)

-(سبيله)و(سبيل الله)

-(عيسى)و(عيسى)

-(بني إسرائيل) و(بني إسرائيل)

وهذه العلاقات المعجمية الثلاث: التضام بأنواعه: التكامل والتقابل والكلّ والجزء، وعلاقة شبه الترادف، وعلاقة التكرار، ستسهم في بيان المستوى الدلالي التالي.

المستوى الدلالي النصّيّ

العلاقات الدلاليّة التي تسهم في تبيان ضلال سورة الصّفّ ،ستكون بالاقتصار على المستوى المعجميّ، من خلال مسألة موضوع السورة وغرضها.

موضوع السورة وغرضها

موضوع السورة وغرضها "يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخصّ هذا الموضوع"(٥٦)،وهذه الجمل، في تصور الباحث، التي تساعد في استخلاص موضوع السورة وغرضها، هي جمل تحوي مبان صفيريّة، بدءا من عنوان السورة "الصّفّ" ؛ إذ العنوان" وسيلة قوية للتغريض" (٥٧) فعنوان السورة"الصّفّ" وهو ،عنوان صفيري، هو غرضها الرئيس، وهو نقطة بداية يتبين حولها اللاحق في السورة، وتقيد تأويله.(٥٨) ومرورا بمبانيها الصفيريّة، وانتهاء بآخر مبنى صفيريّ .

وعليه، فالسورة يمكن، بالنظر إلى مبانيها الصفيريّة ، أن تدرس دراسة بينيّة وأفقيّة ورأسيّة وجمالية.

العلاقات البينية على مستوى الصّوت الصّفيري :

وتكون بالنظر إلى نوع الصوت الصفيريّ، وهي على النحو الآتي:

العلاقة بين المباني الزايية، في أنّ الزيغ يدلّ على ميل الشيء، والزائغ الضال يحرم العزة في الدنيا، والفوز في الآخرة، بينما المهتدي يتبع سبيل الله والأنبياء وسبيل من اسمه أحمد، وهذه السبل تضمنتها السورة.

والعلاقة بين المباني السينية، تقوم على الإيمان برسالات الله وبرسله وأنبيائه، وبرسالة رسوله أحمد، والإيمان بسبيل الله ورسله وأنبيائه ونبيه أحمد، وتسبيح الناس خالق السموات، وهذه المباني السينيّة كانت الأكثر تكرارا في السورة.

والعلاقة بين المباني الشينية، هي أنّ البشارة بالرسول أحمد، هي الطريق إلى البشارة بالفتح القريب والنصر من الله. أمّا الشرك بالله فلا يستبشر بمجيء رسول، ولا بفتح ولا نصر.

والعلاقة بين المباني الصاديّة ،هي أنّ الدعوة إلى رصّ الصفوف، والتصديق بالرسالات السماويّة، ينتج عنه النصر في الدنيا وأن يصبحوا ظاهرين.

العلاقات الأفقية على مستوى الآية الواحدة

العلاقات الأفقية بين المباني الصفيريّة في الآية الواحدة، كالآتي:

في الآية١:سبّح، السموات، العزيز: العزيز يستحقّ تسبيح وتعظيم من في السموات السبع.

في الآية٤:سبيله، صفّا، مرصوص: فالاصطفاف والرصّ اللذان يحبهما الله يكونان في سبيل الله.

في الآية٥: موسى، رسول الله، زاغوا، أزاغ، الفاسقين: موسى رسول الله إلى قومه، فلمّا زاغوا وفسقوا أزاغ الله قلوبهم.

في الآية٦ :عيسى، إسرائيل، رسول الله، مصدّقا، مبشّرا، رسول، اسمه أحمد، سحر: فعيسى رسول الله إلى بني إسرائيل، بعثه مصدقا للتوراة ومصدقا برسول اسمه أحمد، فقالوا سحر.

في الآية٩: أرسل، رسوله، المشركون: المشركون ضد الرسول ورسالته.

في الآية١١: رسوله، سبيل الله، أنفسكم: الإيمان بالرسول، والجهاد في سبيل الله يكونان بالنفس.

في الآية ١٢:مساكن، الفوز: المساكن في الجنّة فوز.

في الآية١٣: نصر، بشّر: النصر شكل من أشكال البشرى.

في الآية ١٤: أنصار الله، عيسى، أنصاري، أنصار الله، بني إسرائيل، أصبحوا: فأنصار الله المؤمنون هم أنصار سيدنا عيسى، وهم أصبحوا ظاهرين.

العلاقات الرأسية على مستوى السورة

المباني الصفيريّة في هذه السورة تشكل أربعة محاور رئيسة، تدور في فلكها كلّ المباني، وهي: محور العزة، ومحور الرسالة، ومحور البشرى، ومحور الاصطفاف، وكلّ محور منها يلتف حوله مبان من مختلف أصوات الصفير، وهذه المحاور وما يتبعها، يمثلها الجدول الآتي:

محور العزة ومعانيه	محور الاصطفاف ومعانيه	محور الرسالة ومعانيه	محور البشارة ومعانيه
هو العزيز الحكيم	القتال في سبيل الله صفا	القتال في سبيل الله	دخول المساكن في الجنّة
تسبيح الله ما في السموات	القتال كالبنيان المرصوص	التصديق بالرسل ورسالاتهم موسى وعيسى وأحمد	مغفرة الذنوب ودخول الجنّة فوز عظيم
		الزيغ عن هدى الرسل ورسالاتهم	نصر من الله
		نصرة الرسل	تبشير المؤمنين بأحمد وبالنصر وبالفتح
		الجهاد بالمال والنفس	أصبحوا ظاهرين على عدوهم

السورة إجمالا جملة موضوعها العزّة، والعزة تكون بمحاور القتال في سبيل الله صفا واحدا مرصوصا، والإيمان برسالات الله ورسله، وتكون تاليا بالنصر في الدنيا والفوز بالجنة بالآخرة، والعزة بمحاورها مصدرها الله العزيز الحكيم الذي جاء في مفتتح السورة. كما أنّ هذه المحاور تتداخل وتتقاطع فيما بينها، ويشدّ بعضها بعضا ويرفد.

جماليات العلاقات

البنى الصفيرية بعلاقاتها البينية والافقية والرأسية، تؤدي بنا إلى بلاغات سياقيّة لآيات سورة الصف وجمالية، وهي:

– استحواذ البنى المنطوقة ذات الصفير على السورة، يسهم في دراستها دراسة نصيّة(نصية الصوت) تفسر آياتها، وتبين جمالها، وتكشف عن تماسكها وانسجامها. فجودة النظم عامل مهم في زيادة قيمة النص وتأثيره النفسي(٥٩)

– في الآية(٤) جناس صوتي بين مباني الصفير، يؤدي إلى جناس دلالي، كما في (الصفّ، المرصوص) فهي من (صفف، رصص) "يقال وقفا صفا، إذا وقف كلّ واحد إلى جنب صاحبه"(مقايس) والمرصوص" هو من الترصيص وهو انضمام الأسنان"(٦٠) فالرصّ يؤدي إلى استقامة الصفّ وتماسكه. وفيها ترادف صوتي بين(الصف ،المرصوص)و(سبيل)الله، فسبيله يدعو إلى الاصطفاف ورص الصف،

يقول ابن رشيق" الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار"(٦١)فهي عملية ذهنية تربط بين الأصوات في الكلمات(٦٢) وكذلك بين الآية(١٢)و(١٣)(النصر، الأنصار) فالأنصار يحققون النصر.

– بين الآية(١٢)و(١٣) ترادف صوتي بين مباني الصفير، يؤدي إلى ترادف دلالي، كما في (النصر، الفوز) فالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، والأول سبيل إلى الثاني.

– في الآية(٥) جناس لفظي بين مباني الصفير، يحسن موسيقى الآية وجرسها، ويزيد معناها بيانا ووضوحا، كما في(زاغوا، أزاغ) فعاقبة الزيغ التكذيب والضلال، وكذلك فيها جناس معنوي بين معنى (الزيغ)و(الفاسقين)فالزيغ فسق. وكذلك في الآية(٩)(أرسل، رسوله) يدلّ أنّ الله جعل رسالته مع رجل عظيم ؛ إنّه رسول الهدى ودين الحق.

– بين الآيتين (٨) و(٩) ترادف تركيبي بين صفيري وغير صفيري، يربط دلالتيهما، ويحسن أسلوبيهما، كما بين التركيب الصفيري (ولو كره المشركون)والتركيب غير الصفيري(ولو كره الكافرون) فالشرك نوع من الكفر، وكذلك في الآية(١٢) بين التركيب غير الصفيري (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) والتركيب الصفيري (ومساكن طيبة في جنات عدن) فالمساكن جزء من الجنات.

– في الآية(١٤) جناس تركيبي بين آيات الصفير، كما في(أنصار الله)و(أنصاري إلى الله) و(أنصار الله)فبدئ بأمر الله للمؤمنين بالنصرة، ثمّ بسؤال سيدنا عيسى أصحابه النصرة، ثمّ باستجابة أصحابه.

– في السورة تكرر لفظ الرسول خمس مرات(رسول)والمقصود سيدنا موسى، وسيدنا عيسى، وسيدنا محمد، وهذا تأكيد على صدق الرسل، وعلى وحدة الرسالة.

– في الآية (١٤)مقابلة، بيّنتها بجلاء أصوات الصفير، بين(آمنت) و(كفرت) والإيمان ظهور، فكشف عنه في آخر الآية بمبنى صفيريّ(فأصبحوا ظاهرين).

المستوى التداولي النصّيّ

وأداتنا في هذا المستوى معرفتنا الخلفية عن السورة، وما يحيط بها من أسباب نزول، ومن أقوال الرسول، والصحابة، والمفسرين، بالتركيز على السياقات الصفيريّة، خاصة المباني الصفيريّة التي تشكل محاور السورة، والتي أشرنا إليها في المستوى الدلالي، لما لهذه المعرفة من أهمية في التحليل.

المعرفة الخلفية

المفسّر أو المحلل حين يواجه السورة من القرآن ،لا يواجهها ، وهو خالي الوفاض والذهن، وإنّما يستعين بتجاربه السابقة، وبما تراكم ليه من تجارب(٦٣)

وبهذه المعرفة سنوضح محورية الكلمات الصفيريّة، التي ذكرناها في العلاقات الرأسية في سورة الصّفّ، وهي:

العزيز(العزة)،الصّفّ(الاصطفاف)،الرسالة والرسل، البشارة.

العزيز: يقول ابن عاشور:"وفي إجراء وصف العزيز عليه تعالى هنا، إيماء إلى أنّه الغالب لعدوه، فما كان لكم أن ترهبوا أعداءه فتفروا منهم عند اللقاء"(٦٤)وهذا ينسجم مع عنوان السورة الصفيريّ(الصّفّ)وهو صف القتال،ومع مفتتح السورة الصفيريّ (سبّح)الذي يبين استحقاق الكافرين للقتال لأنّهم شذّوا عن المخلوقات ، فلم يسبّحوا.

الصّفّ: اسم السورة يكشف عن سبب نزولها، وهو سؤال الصحابة عن أحبّ الأعمال إلى الله، كما ذكر المفسرون وأصحاب الحديث (٦٥) والصف يطلق على الأشياء المتجانبة المنتظمة،كصف المصلين،وصف الملائكة، وصف الجيش في القتال، فالصف كناية عن الانتظام والماثلة عن تدبر.(٦٦)

الرسالة والرسل: معرفتنا النحوية جزء من المستوى التداولي، تساعد في فهم السياق الصفيري،فما ورد في السورة من سياقات صفيرية تتعلق بالرسل ورسالاتهم، يفهم من عطف الرسل بعضهم على بعض،ففي قوله تعالى" وإذ قال موسى لقومه" يقول ابن عاشور:" موقع هذه الآية هنا خفي المناسبة" ثمّ يضيف:"والواو على هذا الوجه–يقصد الاقتضاب–عطف غرض على غرض"(٦٧) فالسياق الصفيري، موسى ورسالته، وسيلة ربط مع سياق غير صفيري سابق.

كما أنّ هذه المعرفة النحوية، بينت رسالة عيسى ،وهما مبنبان صفيريان،إذ يقول ابن عاشور في قوله تعالى"وإذ قال عيسى ابن مريم"يقول"عطف على جملة"وإذ قال موسى"(٦٨).

البشارة: تظهر أهمية هذا المبنى الصفيري ،في تفسير الزمخشري لقوله تعالى" وبشّر المؤمنين"إذ في التبشير عطف جملة على مجموع جمل.(٦٩) كما تنكشف من مجموع ألفاظ الصفير الأخرى في السورة الدالة على البشارة: الفوز، النصر، المساكن، ونحوها.

الخاتمة:

وصل البحث، بعد عناء، إلى النتائج الآتية:

-شيوع أصوات الصفير في السورة، كان أداة رابطة لموضوعاتها، أدت إلى تماسك نسيج السورة، شكلا ودلالة، كما بينا في المستوى الصوتي.

-المباني الصفيريّة بما اتصلت به من أدوات وضمائر، كانت، كذلك، وسيلة ربط وتماسك، كما بينا في المستوى النحوي.

-كما أنّ العلاقات المعجمية المختلفة التي أقامتها المباني الصفيريّة، كانت موضحة لدلالات السورة ،ورابطا معجميا، كما بينا في المستوى المعجمي.

-تغريض العنوان(الصّفّ)وصفيريّته ،أسهم في توجيه دلالات السورة، كما بينا في المستوى الدلالي.

-للمستوى التداولي، دور في الكشف عن غوامض السورة ومراميها، كما بينا ذلك في المستوى المذكور.

-المنهج البنيوي الذي ينطلق من دلالة الصوت والكلمة والسياق، منهج رصين يؤسس لدراسة النصوص وتحليلها تحليلا علميا منطقيا رائقا سائغا، كما تبين من زمن البحث.

الحاشية:

١-بدر، عبد الله، وسرحان، محمد، الإعجاز في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٤،١٧
٢-فضل، صلاح، علم الأسلوب، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥، ١٥٥، ١٥٦
٣-الضالع، محمد، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة، ٩
٤-المرجع السابق،١٥
٥-خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي،١٩٦
٦-سعد، أمير، الأصول البلاغية للنص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٧، ٦٣
٧-خطابي، محمد، لسانيات النص، ١٩٧
٨-بدر،عبد الله، وسرحان، محمد، الإعجاز في القرآن الكريم، ٦٤،٦٥
٩-الشوكاني،محمد، فتح القدير،دار الوفاء،١٩٩٧،ج٥، ٢٩١
١٠-الزمخشري،محمود، الكشاف،شرح، يوسف الحمّادي ،مكتبة مصر،ج٤، ٣٩٠
١١-الشوكاني،محمد،فتح القدير، حققه عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء،ج٥، ٢٩٤
١٢-السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب الدرر، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٩٨٦، ١٢٣
١٣-المرجع السابق، ١٢٤
١٤-المرجع السابق، ٥٤
١٥-ابن جنّي، عثمان، الخصائص، ج٢، ١٥٧
١٦-حسّان، تمّام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب،القاهرة،٣٥٢،١٩٩٣
١٧-أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ٧٤
١٨-الرافعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط٢، ٢٠٠٣، ١٥٣
١٩-المرجع السابق، ١٥٨
٢٠-ياسوف،أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي،ط١، ١٩٩٤، ٣٣
٢١-حسّان، تمّام، البيان في روائع القرآن، ٣٥٤
٢٢-المرجع السابق، ٣٥٥
٢٣-ياسوف،أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ٣١
٢٤-الرافعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة ،١٥١
٢٥-البكوش، الطيب، التصريف العربي،ط٣ ، ١٩٩٢، ٤٣
٢٦-استيتية، سمير، الأصوات اللغوية، دار وائل للنشر،ط١، ٢٠٠٣، ١٥٨
٢٧-البكوش، الطيب، التصريف العربي، ٤٢، ٤٣
٢٨-سابير، إدوارد، اللغة، ترجمة المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب،١٩٩٥،ج٦٧،١
٢٩-البكوش،الطيب،التصريف العربي،٤٣
٣٠-استيتية، سمير، الأصوات اللغوية،١٤٠
٣١- المرجع السابق، ١٢٦
٣٢-حسّان، تمّام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء،١١٢،١٩٧٤
٣٣-سلّوم،داوود،دراسة اللهجات العربية القديمة ،مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ٧٩،١٩٨٦
٣٤-البكوش، الطيب، التصريف العربي،٣٨
٣٥-استيتية، سمير،الأصوات اللغوية،١٢٦
٣٦-الرافعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة،١٥٣
٣٧-الفقى، صبحي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة،ط١ ، ٢٠٠٠، ١٤٣/١

٣٨-الخطابي،محمد،لسانيات النصّ،١٧٥
٣٩-صبرد، محمد، مرجع الضمير في القرآن الكريم، دار غريب،القاهرة،٢٨،٢٠٠١
٤٠-المرجع السابق،٣٥
٤١-المرجع السابق،٣٥
٤٢-الفقى، صبحي، علم اللغة النصّي،١٦١/١
٤٣-الزركشي، محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٠١ ،١٢٠/٤
٤٤-المرجع السابق،٦٦/١
٤٥-الخطابي،محمد،لسانيات النصّ،٢٢٨
٤٦-السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت،١٩٩٧ ، ٢٦٢/٣
٤٧-عبد اللطيف ،محمد، بناء الجملة العربية، دار الشروق،ط١، ١٩٩٦،٥٣
٤٨-المرجع السابق،٣٩، ٤٠
٤٩-مفتاح، إبراهيم، التماسك النصّيّ للاستخدام اللغوي، عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،٢٠١٥،١١٧
٥٠-مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط٣ ،١٩٩٢،٦٠
٥١-دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨، ٣٠٠
٥٢-الخطابي،محمد، لسانيات النصّ،٢٣٨
٥٣-عمر،أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب ،القاهرة، ط ٣،١٩٩٢،٢٢٠،٢٢١
٥٤-نصّار، حسين ،التكرار، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط١، ٢٠٠٣، ٧٢
٥٥-المرجع السابق،٦٢
٥٦-الخاطبي، محمد، لسانيات النصّ،٢٧٧
٥٧-المرجع السابق،٢٩٣
٥٨-المرجع السابق،٢٩٣
٥٩-ناجي، مجيد، الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط ١،١٩٨٤ ،٨٤
٦٠-أبو حيّان الأندلسي، محمّد، البحر المحيط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١ ،١٩٩٣ ،٢٥٨/٨
٦١-ناجي،مجيد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربيّة ،٤٤
٦٢-أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ،١٧١
٦٣-الخطابي،محمد، لسانيات النصّ، ٦١
٦٤-ابن عاشور، محمّد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، بدون طبعة ، ١٧٤/٢٨
٦٥-المرجع السابق،١٧١/٢٨
٦٦-المرجع السابق،١٧٦/٢٨
٦٧-المرجع السابق، ١٧٧/٢٨
٦٨-المرجع السابق،١٧٩/٢٨
٦٩-المرجع السابق،١٩٧/٢٨

المرجعيّة:

١. القرآن الكريم.
٢. ابن عاشور، محمّد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، بدون طبعة.
٣. استيتية، سمير، الأصوات اللغوية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط١،٢٠٠٣
٤. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٩٣،٧
٥. أولمان،استيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، النيرة.
٦. بدر، عبد الله، وسرحان، محمد، الإعجاز في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٤
٧. البكوش، الطيب، التصريف العربي(من خلال علم الأصوات الحديث)، ط٣ ، ١٩٩٢
٨. ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بدون طبعة.
٩. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، (٢٠٠٨) .
١٠. أبو حيان الاندلسي، محمد، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٣.
١١. حسّان، تمام، البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني) عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣.
١٢. حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤.
١٣. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء،ترجمة تمّام حسّان،عالم الكتب، القاهرة، ط١ ، ١٩٩٨ .
١٤. الرافعي، مصطفى إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٣
١٥. الزركشي، محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،٢٠٠١
١٦. الزمخشري، محمود، الكشّاف، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر، بدون طبعة.
١٧. سابير، إدوارد، اللغة (مقدمة في دراسة الكلام) ج١، ترجمة المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٥.
١٨. سلوم، داوود، دراسة اللهجات العربية القديمة، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٩.السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٧.
٢٠.السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦.
٢١.الشوكاني، محمد، فتح القدير(الجمع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير) تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢ ، ١٩٩٧ .
٢٢.**صبرد، محمد، مرجع الضمير في القرآن الكريم، دار غريب،القاهرة،٢٠٠١**
٢٣.الضالع، محمد، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة
٢٤.عبد اللطيف ،محمد، بناء الجملة العربية،دار الشروق،ط١، ١٩٩٦
٢٥.عمر،أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب ،القاهرة، ط٣ ،١٩٩٢
٢٦.فضل، صلاح، علم الأسلوب، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٨٥
٢٧.مفتاح، إبراهيم، التماسك النصّيّ للاستخدام اللغوي، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن، ٢٠١٥
٢٨.مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١٩٩٢،٣.
٢٩.ناجي، مجيد الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤ .
٣٠.نصّار، حسين ،التكرار، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط١، ٢٠٠٣
٣١.ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق، سوريا،١٩٩٤.